

تقرير

شوقي عشقوني
lionbars@hotmail.comحوار مع إيران، إنفتاح على سوريا، تطوير مع العراق،
السعودية تراجع سياستها وعلاقاتها الخارجية

أقدمت المملكة العربية السعودية على اجراء تغييرات ملموسة في سياستها وعلاقاتها الخارجية، وعلى اعادة جدولة اولوياتها في المنطقة. هذا التغيير ظهر في فتح باب الحوار مع ايران، وفي الانفتاح على سوريا والدفع في اتجاه اعادة العلاقات الدبلوماسية معها واعادتها الى الجامعة العربية

يريد الرئيس الاميركي الجديد جو بايدن التمايز عن سلفه دونالد ترامب في ادارة ملف علاقات الولايات المتحدة مع السعودية. وتلك رغبة من شأنها ان تترجم وعودا اطلقها بايدن نفسه باكرا في حملته الانتخابية، ولاحقا يوم اعلانه انتهاء دعم بلاده للحالف الذي تقوده المملكة في الحرب على اليمن، حين اكد عزم ادارته على اعادة تقييم علاقاتها مع السعودية. تمضي ادارة بايدن في مساعيها الى احداث تغييرات على مستوى علاقات الولايات المتحدة مع السعودية، لتخفف من عبء التفويض المطلق الذي منحه ترامب لولي العهد محمد بن سلمان، كونه يمسك بكل الملفات التي تهم البيت

الابيض معالجتها، على رأسها الحرب في اليمن. اشارتان حاسمتان صدرتا عن ادارة بايدن في اتجاه السعودية وفي غضون فترة وجيزة: 1 - الاولى تتعلق بملف اليمن. فالصفحة الجديدة التي انفتحت مع وصول بايدن الى البيت الابيض، بدأت عناوينها في ما يتصل باليمن تحديدا، بالتوالي مع اعلان واشنطن نيتها مراجعة قرار ادارة ترامب ادراج "انصار الله" في لائحة الارهاب، ومن ثم تعليقها صفقات السلاح لكل من الرياض وابو ظبي كخطوة على طريق انتهاء الحرب. ظهرت السعودية كأكثر المتضررين من التوجه الاميركي الجديد القائم على وقف الدعم العسكري

2 - الاشارة الثانية "البليغة" تتعلق بملف مقتل الصحافي جمال خاشقجي في القنصلية السعودية في اسطنبول عام 2018، بعد قرار واشنطن الافراج عن تقييم الاستخبارات الاميركية لمقتل خاشقجي الذي خلص الى استنتاج مفاده ان ولي عهد المملكة السعودية "اجاز عملية في اسطنبول، في تركيا، لاعتقال او قتل الصحافي السعودي جمال خاشقجي". جاء الكشف عن تقرير الاستخبارات حول مقتل الخاشقجي ليعكس استعداد الادارة الجديدة لتحدي المملكة في قضايا كثيرة، مثل حقوق الانسان وملف الحرب على اليمن. غير ان الرئيس الاميركي يخطو بحذر للحفاظ على العلاقات مع المملكة، في اطار سعيه الى احياء الاتفاق النووي المبرم مع ايران، ومعالجة تحديات اخرى، من بينها محاربة التطرف الاسلامي، والمضي في سياسة ترامب لتعزيز عملية التطبيع بين العرب واسرائيل.



الرئيس الاميركي جو بايدن.

اضافة الى اعادة بناء العلاقات مع العراق. اطل ولي العهد السعودي الامير محمد بن سلمان على التلفزيون السعودي بمناسبة مرور خمس سنوات على اطلاق رؤية 2030، وكان له حديث مطول في الشؤون السياسية الخارجية، عكس تحولين:

- التحول في طريقة مخاطبة الولايات المتحدة مقارنة بما كان عليه الوضع ايام ترامب، وفي طريقة تناول موضوع العلاقة معها من زاوية تعكس حذرا وعدم ارتياح، ويصل الامر الى اظهار شكوك وارتباب حيال توجهات الادارة الاميركية في المنطقة وانعكاسها على العلاقات الثنائية التي تميزت في السنوات الاربع الماضية بالزخم والحرارة. فقد اقر بن سلمان بوجود خلافات مع ادارة بايدن وحاول اظهار نوع من الندية في حاجة كل من الطرفين الى الاخر، عندما قال ان الولايات المتحدة ما كانت لتكون على ما هي عليه اليوم لولا النفط السعودي. كما حاول الايحاء بوجود خيارات بديلة لديه في حال ارادت واشنطن التخلي عنه، عندما اشار الى اعلان كل من الصين وروسيا والهند السعودية شريكا استراتيجيا لها.

- التحول في اللهجة تجاه ايران مقارنة بما كان يقوله بن سلمان في السابق واشارته المتكررة الى انه لا يمكن اجراء حوار مع ايران. فقد تناول ولي العهد موضوع العلاقة مع ايران من زاوية اظهار النية والرغبة في تحسين العلاقات، ليصل الامر الى حد التودد والتفهم بالقول ان "ايران دولة جارة ونريد ان تكون لدينا علاقة طيبة و متميزة معها. لا نريد ان يكون وضع ايران صعبا، بالعكس، نريد ايران مزدهرة. لدينا مصالح فيها ولديها مصالح في السعودية لدفع العالم والمنطقة الى الازدهار".

هذه الرغبة في الانفتاح على ايران توافقت مع رغبة اخرى مكتملة، هي انتهاء الحرب في اليمن. فقد اعرب بن سلمان عن الامل في ان يجلس الحوثيون الى طاولة المفاوضات للتوصل الى حلول

”
سببان دفعا السعودية
الى الحوار مع ايران: التغيير
الاميركي وحرب اليمن
الكاظمي يلعب دور
الوسيط وساعي بريد
تحت سقف الانفتاح على
العنف العربي

من الواضح ان بايدن لا يزال يتحسس خطاه. وعلى الرغم من رغبته في تحجيم بن سلمان واطفاء طابع رسمي على العلاقات بين البلدين، الا انه يدرك ان الولايات المتحدة لا تستطيع تحمل قطيعة مع اقدم حلفائها في المنطقة، وان الشراكة مع السعودية تمر بعملية اعادة تعديل وليس بقطيعة، وما يحدث هو اعادة نظر في العلاقة مع السعودية وليس تصدعا في هذه العلاقات. السعودية دولة اساسية في المنطقة، والخيارات التي تتخذها الرياض تكون لها تأثيرات كبيرة في المنطقة.

التغيير الاميركي تجاه السعودية وفي منطقة الشرق الاوسط بالاجمال، وفي اتجاه ان تصبح ايران هي الاولوية والعودة الى الاتفاق النووي هي الهدف، مما اثار قلقا مزدوجا لدى اسرائيل والسعودية. اسرائيل التي ارسلت وفدا امنيا استراتيجيا كبيرا الى واشنطن للحصول على توضيحات وتطمينات. السعودية التي بادرت الى حركة استباقية وقائية بدخول معترك الحوار مع ايران والتطبيع مع سوريا،

المفاوضات مع ايران، من دون انتظار الاتفاق الاميركي - الايراني.

لوهلة اولى ساد اعتقاد ان الرد السعودي سيكون بتطوير عملية التنسيق وتسريع عملية التطبيع مع اسرائيل، لكن المفاجأة كانت في ان السعودية اختارت طريق الحوار مع ايران والتطبيع مع سوريا،



ولي العهد السعودي الامير محمد بن سلمان.

تُكفل حقوق جميع اليمينيين وتضمن مصالح دول المنطقة. وهذا يؤكد التوجه الذي بدأتته السعودية بعد وصول بايدن الى البيت الابيض، باطلاقها مبادرة انهاء الحرب وعن قناعة هذه المرة بضرورة اقفال ملف حرب اليمن الذي يستنزفها، من دون ان تلوح امكانات ربح او حسم الحرب عسكريا، وفي ظل ضغوط اميركية مستجدة لوقف الحرب والذهاب الى مفاوضات الحل السياسي.

بغداد كانت مركز الحدث ورئيس حكومة العراق مصطفى الكاظمي كان الشاهد والوسيط، وهو الذي كان زار الرياض مرتين منذ تسلمه رئاسة الحكومة والتقى ولي العهد الامير محمد بن سلمان الذي تربطه به علاقة وطيدة على المستويين الشخصي والسياسي.

انعددت جولة الحوار الاولى في القصر الرئاسي في المنطقة الخضراء وسط بغداد. الوفد السعودي ترأسه رئيس الاستخبارات خالد بن علي الحميدان وضم في عداده مستشارا امنيا رفيع المستوى لولي العهد، فيما ترأس الوفد الايراني مسؤول رفيع المستوى في المجلس الاعلى للامن القومي وضم ممثلين عن الاجهزة الايرانية كافة، بما فيها الحرس الثوري. وهناك من قال ان الوفد الايراني كان برئاسة قائد فيلق القدس الجنرال قاتي.

اذا كان موقف ايران على مر السنوات الماضية داعما لفكرة الحوار مع السعودية التي رفضت عرضا ايرانيا متكررا بهذا الخصوص، يكون التغيير جاء من السعودية التي اتخذت القرار بنقل العلاقة مع ايران من حال المواجهة الى مرحلة المفاوضة. يمكن تقدير ان هناك ثلاثة اسباب اساسية دفعت بالسعودية الى اتخاذ هذا القرار الصعب والجريء:

1 - التغيير الحاصل في الولايات المتحدة مع سقوط ترامب وتسلم بايدن، وما اسفر عنه من خسارة بن سلمان حليفا اميركيا متطرفا وموثوقا، وما ادى اليه من تغيير في مسار واولويات السياسة



الرئيس السوري بشار الاسد.

السياسية على اساس القرارات الدولية ذات الصلة. 3- توافر الوسيط العراقي الموثوق به، مصطفى الكاظمي الذي يستند في دوره الجديد الى علاقة شخصية متينة مع بن سلمان، وكانت له زيارتان حتى الان الى الرياض، ويستند ايضا الى استراتيجيا سياسية يتبعها وتقوم على ثلاثة عناصر ومركزات:

2- تطورات الوضع في اليمن، لاسيما ما يتعلق بالتطورات العسكرية بعد تعثر وفشل الجماعات اليمنية المؤيدة للسعودية في حسم معركة مأرب التي عدت واحدة من ام المعارك. بعد مواصلة الحوثيين المدعومين من ايران قصف العمق السعودي بالصواريخ والطائرات المسيّرة، في وقت تمارس واشنطن ضغوطا على السعودية لوقف حرب اليمن بعدما ثبت ان لا حل عسكريا لازمة، وان الحل السياسي لها يبدأ من اعتراف سعودي بالحوثيين وبالنفوذ الايراني في صنعاء. من هذا المنطق اصدرت السعودية مبادرتها الداعية الى وقف الحرب وانطلاق العملية

- السعي الى لعب دور الجسر وصلة التواصل والتفاعل بين ايران والولايات المتحدة. فمن الواضح ان الكاظمي يطمح الى استعادة العراق من الاقامة الدائمة في العاصفة. الاقامة المتوترة على خط التماس الايراني - الاميركي الذي شهد شهورا صعبة بين حسابات الانتظار والانفجار. لا يحمل الكاظمي مشروعا معاديا لايران كدولة جارة. فمثل هذا المشروع لا يحل المشكلة وليس مطلوباً او ممكناً، وانما يحمل مشروعا لاعادة التوازن يمكن ان يعزز موقع العراق في التخاطب مع ايران وتركيا وسائر الدول المحيطة. ترميم علاقات العراق بعمقه الخليجي والعربي ضروري لاستعادة العراق قدرته على استرداد موقعه الطبيعي في توازنات المثلث العربي - الايراني - التركي. وطبيعي ان يلقي توجه من هذا النوع تفهما وتأييدا، ذلك ان عودة العراق الى الامسك بقراره واستقراره حاجة خليجية وعربية بل دولية.

الحوار السعودي - الايراني الذي لم يعد

سرا، توزع على خمسة محاور اساسية هي:

1- اليمن الذي يشكل اولوية سعودية مطلقة، كونه يتصل بالامن القومي للمملكة ويطاول استقرارها الداخلي ومصالحها ومشاريعها الاقتصادية الطموحة. تفاوض الرياض على هذا الملف من خلفية ان الحل او الحسم العسكري ليس ممكناً، وان لايران دورا ونفوذا في اليمن ومؤهلة لان تكون شريكة اساسية في ترتيبات انهاء الحرب والحل السياسي.

2- الملف النووي ومفاوضات فيينا، حيث تبدي السعودية رغبة في ان يكون

”

سقوط ترامب وتسلم بايدن اديا الى تغيير في مسار واولويات السياسة الاميركية في المنطقة

“



رئيس الحكومة العراقية مصطفى الكاظمي.

لها مقعد على الطاولة ولو جلست في الصف الثاني، وان تشارك بشكل او باخر في هذه المفاوضات التي تعنيها. لكن ايران غير متحمسة وغير مستعدة لاشراك السعودية في المفاوضات، تماما مثلما ان الولايات المتحدة غير متحمسة لاشراك اسرائيل. وتعتبر ايران ان امن واستقرار الخليج ليس جزءا من هذه المفاوضات كي تكون السعودية طرفا فيها.

3- العراق الذي يبرز اكثر فاكثر ساحة تقاطع وتلاق بين ايران والسعودية، ومن خلفية دعم الكاظمي نظرا الى موقعه وسياسته في اقامة توازن واداء دور الوسيط النزيه. لكن يبقى العراق ساحة مفتوحة للثنائية الاميركية - الايرانية ويصعب على اي طرف اقليمي او دولي ثالث ان يحصل على دور او موقع متقدم.

4- الملف السوري الذي يعد واحدا من الملفات ذات الاهتمام المشترك، ولكن لا السعودية تظهر استعدادا وحماسة لرفع درجة اهتمامها بهذا الملف ربطا بالموقف الاميركي الغربي الذي يربط اعادة الاعمار وعودة اللاجئين بالحل السياسي، ولا ايران تظهر استعدادا او حماسة للخوض في هذا الملف، اولا لان اطرافا دولية واقليمية متعددة موجودة على الارض السورية، وثانيا لان هناك مرجعية واحدة تتفاوض وتقرر في شأن سوريا ومستقبلها، وهذه المرجعية في نظر الايرانيين هي الرئيس بشار الاسد الذي رسخ رئاسته وسلطته، بعدما حصل على ولاية رئاسية جديدة في انتخابات جرت الشهر الماضي.

5- الملف اللبناني الذي توليه ايران اهمية بالغة، نظرا الى وجود حزب الله ذراع ايران ورأس حربتها في المنطقة، وكون لبنان ساحة متقدمة تضع ايران على تماس مع اسرائيل وعلى حدود اوروبا عبر المتوسط. لكن المفاجأة هنا ان لبنان غير مدرج في لائحة الاولويات السعودية لهذه المرحلة، وبالتالي موجود في اسفل جدول اعمال الحوار السعودي - الايراني.